

الأخوة الأعداء

عبد العزيز الشناوى

رســـوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة جزيرة الورد

تقاطع شارع الهادى وعبد السلام عارف

ت/ ٣٥٧٨٨٢

مكتبة جزيرة الورد
المنصورة - تقاطع شارع عبد السلام عارف وشارع الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

كانت الشمس الذهبية ترسل أشعتها الدافئة عندما كان القط مشمش يتمطى في تكاسل ويلعق فروته الفضية بلسانه الخشن.

وقع بصر القط مشمش على ظل حيوان حجب عنه أشعة الشمس ودفئها وجد القط مشمش نفسه فجأة أمام الكلب سبع الليل، تلفت حوله، أين يهرب ؟ الحارة ضيقة، مسدودة، الجدارن عالية ملساء، الكلب سبع الليل سد عليه الطريق.

ليست هذه هى المرة الأولى التى يعترض فيها الكلب سبع الليل طريق القط مشمش، في كل مرة كان القط مشمش يجد مخرجاً ويولى هارباً، ماذا يبغى الكلب سبع الليل من وراء ذلك؟

تطلع القط مشمش إلى وجه الكلب سبع الليل، رأى في عينيه حديثاً طويلاً وكلاماً كثيراً، لكن أنيابه البارزة وأنفه الرطب يلقيان الرعب في قلب القط مشمش، لو كان الكلب سبع الليل يريد شراً لماذا تقدم على مهل يسبقه خياله ولم يثب على القط مشمش ويضع يديه على صدره وهو نائم يتمطى؟

قوس القط مشمش ظهره، تحرك ذيله في عصبية كسوط في يد جلاد، وأخرج مخالبه وصار كمصارع يتهيأ للانقضاض على خصمه.

ازدادت بسمة الكلب سبع الليل اتساعاً وقال في هدوء:

- تمهـل يـا مشمش، إننى لا أريد بك شراً، لماذا لم تسأل نفسك عن سر اعتراضى طريقك كلما قابلتك؟

قال القط مشمش:

- لم أسأل نفسى، ولماذا أسألها ؟

قال الكلب سبع الليل:

- ربما كانت نواياىا طيبة.

تساءل القط مشمش:

- منذ متى كانت هذه النوايا طيبة؟

قال الكلب سبع الليل:

- ليكن منذ الآن، ألا ترى الابتسامة التى تعلو شفتى؟

نظـر القـط مشمش إلى أنياب الكلب سبع الليل، وعاد يتذوق صوتـه الذى يفيض بالرقة و..

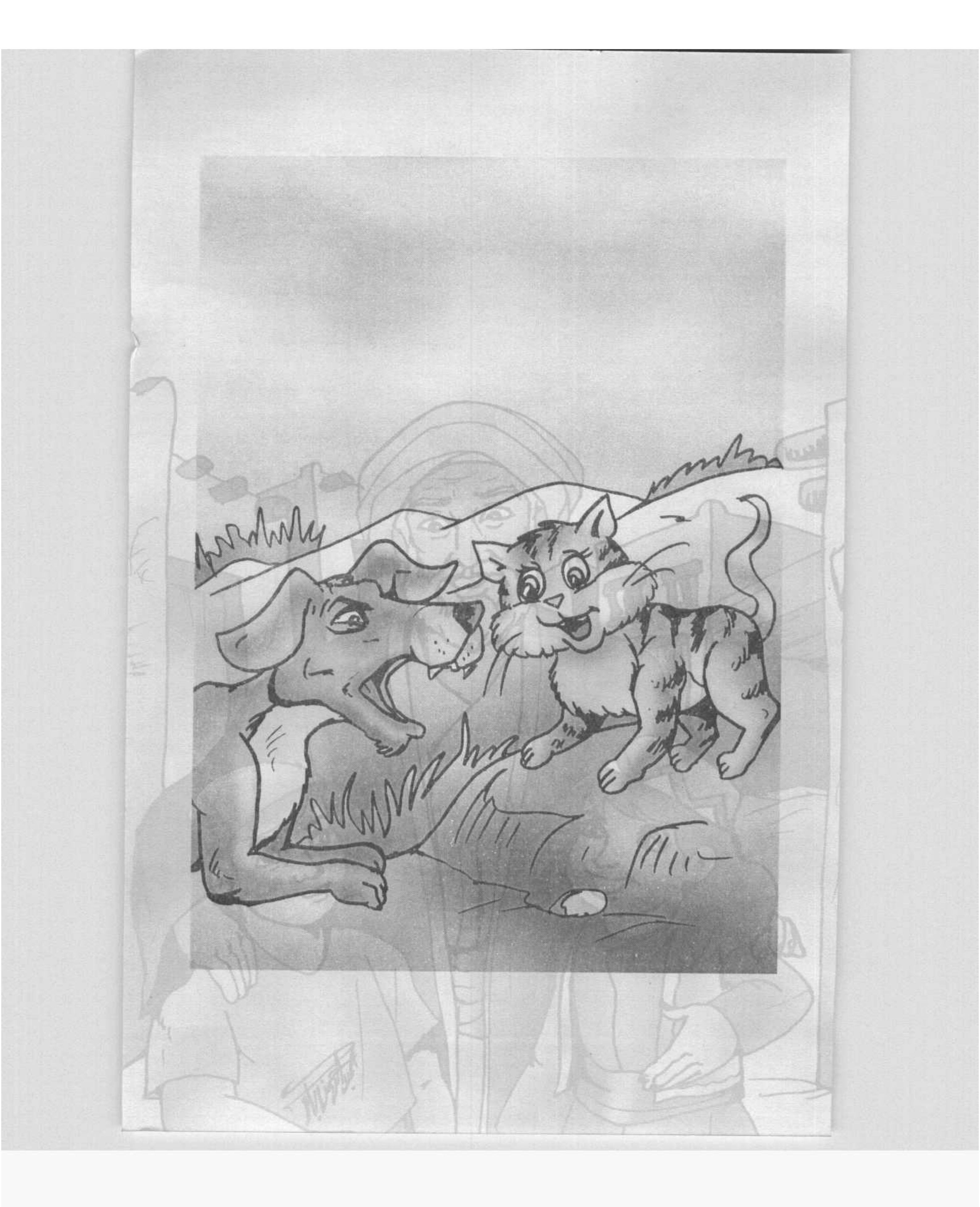
تقاذفته أمواج الحيرة فقال:

إذا رأيت نيوب الكلب بارزة   فلا تظنن أن الكلب يبتسم

ضحك الكلب سبع الليل وقال مصححاً:

- إذا رأيت نيوب الليث بارزة

قال القط مشمش:



- سليس هناك فرق بين الكلب والليث.

تساءل الكلب سبع الليل:

- ألا تريد أن تنسى أن هناك عداوة بين الكلاب والقطط؟

قال القط مشمش:

- ما الذى يحملنى على النسيان؟

قال الكلب سبع الليل:

- أريد أن تسمع إلى..

كانت كلمات الكلب سبع الليل لا تحمل في ثناياها أمرا ولا تهديدا ولكن تفيض بالتودد والرجاء.

فقال القط مشمش:

- ماذا تريد؟ وأرجو ألا تعترض طريقى بعد ذلك

قال الكلب سبع الليل:

- بعد أن أنتهى من حديثى هذا أنت الذى ستعترض طريقى وتطلب منى أن أحدثك.

قال القط مشمش:

- إنك تتكلم بلهجة الواثق من نفسه، تكلم ودعنى أمضى إلى شأنى.

قال الكلب سبع الليل:

ـ أعرض عليك معاهدة سلام بينى وبينك بالذات.

قال القط مشمش:

ـ لماذا بينى وبينك بالذات ؟ كيف نتجاهل ما كان بين الآباء ..؟

قال الكلب سبع الليل:

ـ لقد علمت حقيقة أخبرتنى إياها أمى جعلت ما بينى وبينك حقيقة..

قال القط مشمش:

ـ أية حقيقة؟ ولماذا تتكلم بالألغاز؟

قال الكلب سبع الليل:

ـ قبل أن أخبرك بهذه الحقيقة سوف أطرح عليك بعض الأسئلة

قال القط مشمش في ضيق:

ـ سل..!!

قال الكلب سبع الليل:

ـ أرجو أن تتخلى عن عصبيتك فقد أبديت لك حسن النوايا وسوف تعلم بعد قليل أننى أحمل لك حبا بين ضلوعى.

تسللت كلمات الكلب سبع الليل التى تفيض بالصدق والأمان والحب إلى صدر القط مشمش كنور القمر.

فقال في هدوء:

- أعلم ما تريد أن تقوله: تريد أن تقول: أن الكلب حنون كريم، والقط كسول متقلب ناكر للجميل.

هز الكلب سبع الليل رأسه وقال:

- لا أريد أن أقول ذلك.

قال القط مشمش:

- إذن ماذا تريد؟

قال الكلب سبع الليل:

- هل ترى القطط في الظلام؟

قال القط مشمش:

- نعم..

عاد الكلب سبع الليل يتساءل:

- لماذا؟

قال القط مشمش:

- لأن القطط والبوم والوطواط تملك بؤبؤ عين ذا إمكانية خاصة في الانفتاح والانغلاق بقياسات مختلفة، وأكثر بكثير من القدرة التى تملكها عين الإنسان وبعض الحيوانات الأخرى.

تبسم الكلب سبع الليل وقال:

ـ هل القط الأسود فأل خير أم فأل شر؟

قال القط مشمش:

ـ إن القطط من أكثر الحيوانات التى أوحت بالخرافات والأساطير والأوهام بنشاطها الليلى ومهاراتها في التحرك في الظلام وخفتها الخارقة فالقطط تمتلك هبة بصر مزدوج يسمح لها برؤية أشباح أو ظواهر ليلية مبهمة يتعذر تحديدها، وتعود الصلة بين القط والأديان والتنجيم إلى آلاف السنين فقدماء المصريين دجنوا ـ استأنسوا ـ القط حوالى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد وربما قبل هذا التاريخ، وكان القط الذكر مقترناً بإله الشمس رى Re والقط الأنثى باسيت P'asset إله الملذات والموسيقى، وكان المصريون يعتقدون أن كسوف الشمس هو محصلة المعارك الضارية أبوبيس Apopis إله الليل ورى Re الذى كان يظهر عند الحاجة بهيئة قط عملاق، وأصبح القط فرداً من أفراد العائلة يعيش في المنازل ويلعب دوراً مهماً في القضاء على الفئران، وأصبح رفيق الإنسان في حياته اليومية وعندما سقطت مصر في أيدى الرومان عام ٥٨ قبل الميلاد اختفت آلهتها لتبعث من جديد تحت شكل آخر وبذلك أصبحت باشت Pascht إلهة القمر عند المصريين مماثلة لآلهة الرومان ديان، وهى بنفسها شبيهة لهيكات Hecate إلهة الجحيم التى تحمى المشعوذات والتى تتحول إلى قط أسود خلال غزواتها المشؤومة على الأرض، ومن منطق هذا التحول بدأ القط الأسود بعدما

كـان معـبود المصـريين أصـبح يوحـى لهم بالخوف ويسبب لهم الذعر، وخلال القـرون الوسـطى مـن الفـترة الممتدة بين القرن الخامس إلى القرن الحادى عشر أسـند الاعـتقاد الشعبى للشيطان سلطة التنكر على شكل قط، ومن هذه الخرافة نشأ الاعتقاد الراسخ بأن القطط كانت الرفيقة الملازمة للساحرات للعب حيلها الخبيثة بعفريت تتسلح به، وكان لدى الساحرة أيضاً القدرة بأى مظهر للتنكر بمـا في ذلك مظهر القط الأسود، وبعد كل لقاء أو مشاهدة قط أسود يطرح برهان ذو حديـن: هل نحن أمام حيوان مسحور قادر على فعل ضربة شيطانية أم أمام ساحرة متـنكرة بقـط؟ وفـى الحالـتين لا تنـبىء هـذه المواجهـة بشىء حسن، لتصبح القطط فيما بعد هدفاً للتعذيب والاضطهاد وذائعة الصيت.

قال الكلب سبع الليل:

- هل تحس بالراحة والسعادة بين الناس؟

قال القط مشمش:

- نعـم.. ولكـن أحياناً أشعر من وقت إلى آخر بالحاجة إلى الانطلاق بحرية والركض والقفز والتمرغ على الأرض وأتمطى وأستمتع بدفء الشمس.

قال الكلب سبع الليل:

- إننى لا أقصد ذلك ولكن..

قال القط مشمش:

ـ ولكـن مـاذا؟ هل تريد أن تتحدث عن غريزة الصيد عند القطط؟ لقد هدأت وأفضل الحصول على طعامي من يد الإنسان.

قال الكلب سبع الليل:

ـ حتى ولو اضطرك ذلك إلى الانتظار طويلاً؟

قال القط مشمش:

ـ نعم..

قال الكلب سبع الليل:

ـ وإذا عضك الجوع؟

قال القط مشمش:

ـ لن أتردد عن خدمة نفسي بنفسي.

قال الكلب سبع الليل:

ـ هل تعود إلى اصطياد الفئران والجرذان؟

قال القط مشمش:

ـ هذا ما يريده الإنسان منا أن نعود إلى نداء الغابة.

قال الكلب سبع الليل:

ـ وإذا خيرت بين الحياة والأكل من يد الإنسان ونداء الغابة ماذا تختار؟

قال القط مشمش:

- إننى أفضل النزعة الاستقلالية.

قال الكلب سبع الليل:

- حدثنى عن خرير القطط.

قال القط مشمش:

- إن معظم الحيوانات السنورية الصغيرة تخر، لكن ملوك الفصيلة كالأسد والنمر لا تخر، والطريقة التى يخر بها القط غير معروفة تماماً، فالصوت لا يأتى من الحنجرة، ولكن من مكان أعمق من الصدر، والهرة تخر قبل أن ترضع صغارها التى تتجمع حولها وكأنها تستجيب لنداء أطلقته الأم، وتكف الهرة عن الخرير بعد أن يبدأ الصغار فى الرضاعة، وما عدا ذلك لا أعرف لماذا تخر القطط ؟ ولكن على الأرجح يعتبر خرير القطط علامة الشعور بالطمأنينة، وقد تخر القطط عندما تكون منفعلة أو مضطربة.

وعاد الكلب سبع الليل يتساءل:

- لماذا يقع القط دائما على أقدامه؟

تبسم القط مشمش وقال:

- من البديهى أن التوازن يعنى قدرة الجسم على رد الفعل المناسب لتغيير وضعه في الفضاء، أن وعى الحركة والانتقال توفره للدماغ أجهزة لاقطة خاصة وأبرزها عند الإنسان لواقط الأذن الداخلية، وعند الحيوان اللواقط المرتبطة

بالسمع والـلمس بالإضافة إلى اللواقط الكيمائية والحرارية، والتسارع هو الذى يـثير اللواقـط فـى شـكل كـبير لا سيما لدى القط مثلاً، فإذا تم عصب عينى قط لـنعه مـن الـرؤية ثـم رمـى بـه من مكان مرتفع وظهره إلى أسفل، سيلجأ القط سـريعاً خـلال سقوطه إلى وضعه الطبيعى ويقع في شكل صحيح على أقدامه، إن رد فعـل القـط في مراحل خاطفة عدة: أولاً يدير القط رأسه إلى الأسفل ويسحب إلى صـدره قدمـيه الأماميتين ويمد قدميه الخلفيتين ويمد قدميه الأماميتين كى يـتمكن بعـد انـتهاء دورتـه على نفسه من الوقوع على أقدامه دون الإصابة بأى كسر أو جرح.

- **هل القط بتسع أرواح؟**

قال الكلب سبع الليل :

ـ هل القط بتسع أرواح ؟

زادت ابتسامة القط مشمش اتساعاً وقال:

ـ إن الحـيوانات عموماً قـادرة عـلى أن تكـون أكـثر صـلابة من البشر لكى تـتمكن مـن تجنـب الأخطـار الـتى تهددهـا، وخلافا لسائر الحيوانات الأليفة يـبقى القـط مـن الحـيوانات الـتى تعـيش طويـلا نظـراً لما يخـزنه مـن قدرات طبيعـية، بحيـث لا يمكـن للكلب بالرغم من قدرته على التحمل من منافسته،

وإن هذا المزيج من الصبر والقوة الذى يميز القط هو جزء من المعتقدات والتقاليد، فالتقليد يقول: إن القط يجد دائماً وسيلة يتخذها ليبقى حياً عندما يجد نفسه في خطر ما، لهذا يقولون: إنه قط بتسع أرواح.

وقبل أن يهم الكلب سبع الليل أن يسأل القط مشمش قال له:

- ألا ترى أنك أطلت الحديث معى وأنك صرت كالقاضى وأنا كالمتهم ؟ الآن حان دورى لأسألك.

قال الكلب سبع الليل:

- سل ما تريد..

قال القط مشمش:

- هل أصل الكَلب ذئب؟

قال الكلب سبع الليل:

- نعم..

قال القط مشمش:

- لماذا يلهث الكلب وقت الراحة ووقت التعب؟

قال الكلب سبع الليل:

- عندما ترتفع درجة الحرارة يتبخر الماء من جلد الإنسان والثدييات من خلال مسام الجلد ويسمى هذا العرق، الذى يعمل على حفظ درجة حرارة



الجسم ثابتة، أما الكلاب فلا تعرق ولكنها بدلاً من ذلك تلهث من ألسنتها وهذا يؤدى إلى خفض درجة حرارة جسمها.

قال القط مشمش:

ـ سؤال أخير ما سر محاولة اعتراضك طريقى منذ أيام؟

قال الكلب سبع الليل:

ـ أريد أن أخبرك أنك أخى.

ضحك القط مشمش وقال:

ـ هل أنت كلب في ثوب قط ؟ كيف تزعم أنك أخى ؟

قال الكلب سبع الليل:

ـ أنت أخى من الرضاعة.. وتستطيع أن تسأل أمى التى أرضعتك وقدمت إليك حليبها وأسهمت في تربيتك اليتيمة.

قال القط مشمش:

ـ لقد أحسست أن وراء إصرارك على اعتراض طريقى والحديث معى أنك تريد أن تخبرنى بشىء لم أكن أعرفه.

ثم تنحى الكلب سبع الليل فأفسح الطريق للقط مشمش الذى لم يمض وحيداً بل سار بجانب الكلب سبع الليل ولم يفارقه بعد ذلك.